

على أبواب الميلاد

بسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد أمين

أيها الأحباء، ونحن نقترّب نحو عيد الميلاد نرى الكنيسة تهيئنا وتعدنا لهذا العيد العظيم، الذي نرى فيه الإله متجسداً أخذاً صورتنا وصائراً بشراً مثلنا خلا الخطيئة، وهو الإله والمخلص، لهذا فإننا عندما نتكلم عن هذا الحدث العظيم نتكلم عن بشرى فرح وبشرى خلاص. لهذا الحدث رثمت الملائكة ورنموا في السماوات مسبحين للمولود في مغارة، وكانت البشري بأن المولود في مغارة هو عما نوثيل الذي سيخلص شعبه. سمعتم في الرسالة، يا أحبة، قبل قليل: لستم أنتم بعد نزلاء أو غرباء أنتم أهل بيت الله، وهذا البيت قائم على المسيح يسوع المخلص.

ولهذا، في كل عام منذ الخامس عشر من تشرين الثاني نبدأ بصوم الميلاد، وهو أحد الأمور التي تساعدنا لكي نستعد وننتهي روحياً لاستقبال المسيح المولود في مغارة في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول. ونسمع أيضاً في هذه الفترة في صلواتنا ترانيل تخصّ الميلاد وكل هذا لكي تحشدنا الكنيسة وتدفعنا لأن نشعر بأهمية هذا الحدث ألا وهو أن الرب يأتي إلينا مخلصاً وفادياً لكي نخلص نحن. فنحن نستطيع أن نرفض هذا الخلاص إن أردنا، ولهذا فإننا نستعد لكي نستقبل هذا المخلص والفادي الآتي إلينا، لنجعل نعمته فاعلة بنا ولكي نقبل هذه النعمة المخصصة، لأن الرسول يقول (أيها الأخوة ألا يكون قبولكم نعمة الله بالباطل).

إن إحدى الترانيم التي نرنمها منذ فترة * المسيح ولد فمجده، المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه، المسيح على الأرض فارتفعوا * ترتيلة جميلة يا أحباء، وإذا تأملنا فيها نستطيع أن نتعلم الكثير.

- (المسيح ولد فمجده) عندما نتكلم عن هذا الإله الذي يرتضي، وهو الإله الخالق الديان، أن يتنازل وبصير إنساناً ويولد كطفل كسائر البشر وفي مذود للبهائم، فأى إله مثل هذا الإله وأي كلام نستطيع أن نتفوه به عندما نتأمل في هذا الحدث إلا أن نسجد ونركع وتنسحق قلوبنا ونرفع كل إكرام وتمجيد وشكران لهذا السيد الطفل المخلص العظيم.

- (المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه). نعم، المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه. هو أتى إلى عندنا يا أحباء، إنه لم ينزل من السماء لكي يرينا قوته ويبهرننا ثم يعود إلى السماء من جديد. تذكرنا الكنيسة، ومنذ أيام، أنه على كل واحد منا أن يستقبل في ذاته هذا السيد المسيح الآتي إلينا من أحضان أبيه.

- (المسيح على الأرض فارتفعوا). فلنرتفع، إلى أين؟ فلنرتفع إلى السماوات، فلنرتفع في قلوبنا، فلنرتفع من قبر خطايانا لنستقبل المسيح ويصبح قلب كل واحد منا عرشاً مزيناً بالذهب، والذهب هنا هو الفضيلة، عرشاً مزيناً بالفضيلة لكي يجلس عليه سيد السماء وسيد الأرض.

أذكر أيضاً ترتيلة أخرى سنرنمها بعد أيام، تقول *ماذا أقدم لك أيها المسيح لأنك ظهرت على الأرض كإنسان لأجلنا فكل فرد من المخلوقات التي أبدعتها يقدم لك شكراناً، السماوات الكوكب، المجوس الهدايا، الرعاة قدموا التعجب، والأرض قدمت المغارة، والفقر المذود، وأما نحن فأما بتولاً فبأبيها الإله الذي قبل الدهور ارحمنا.

نعم يا أحباء، ونحن على أبواب الميلاد، هذا الحدث العظيم الذي هو التجسد الإلهي، فليسأل كل واحد نفسه: ماذا أقدم لك أنا أيها المسيح؟ ولعلّ أفضل مثال ما قيل في الترنيمة: وأما نحن فأما بتولاً، أي أن نتصور العذراء مريم، وأن نتشبه بها، فيجعل الواحد منا من ذاته عرشاً للطفل لكي يولد فيه، كما جعلت العذراء مريم من ذاتها عرشاً فاصطفأها الله وحل الروح القدس عليها ووافتنا بالمسيح المخلص بالجسد لأجل خلاصنا.

لعلنا نتعلم من الملائكة التسبيح، ومن المجوس أن نقدم الهدايا. ولكن أية هدايا؟ وأن نتعلم من الرعاة التعجب والإكرام ومن العذراء مريم أن نقدم قلباً نقياً يأتي الله إليه ويسكن فيه. وهكذا فإننا عندما نصل إلى يوم الميلاد يكون المسيح ساكناً في قلب كل واحد منا. وأنداك نرنم بالفعل (المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة)..... أمين.